

هبة القدس.. تداعيات وأبعاد استراتيجية

بعد مغادرة دونالد ترمب للقدس معلناً نقل السفارة الأمريكية إليها بدلاً من تل أبيب، قال رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو هو معقّباً على الزيارة "اننا نشعر في هذا العام وكأننا نخلق بأرواحنا فوق جنان عدن"، يأتي تعليق نتياهو هذا بعد جملة من الضمانات والوعود الداعمة والمؤيدة لأطماع "اسرائيل" وسياساتها الاستعمارية تجاه الفلسطينيين والعرب من قبل رئيس أعظم دولة في العالم، هذا الى جانب دعم دولي وانفتاح سياسي واقتصادي من معظم دول العالم على دولة الكيان، بما في ذلك العديد من الدول التي كانت تقف على الحياد، أو تصطف الى جانب العرب والفلسطينيين في الصراع العربي الصهيوني. واذا ما اضفنا الى ما سبق موجة التطبيع العربية التي انتهت فعلياً حضور القضية الفلسطينية كمحدد للعلاقة مع الاحتلال لدى دول عربية عديدة، والتي تسابقت الى تطبيع علاقاتها مع الاحتلال، اضافة الى حالة من الترهل والانقسام الفلسطيني الداخلي والذي ادى الى وجود حكومة مقاومة محاصرة ايما حصار في قطاع غزة، وحكومة تنسيق امني في الضفة الغربية تخضع راغبةً أو مجبرة لسياسات الاحتلال الامنية والاقتصادية، فانه يحق لنتنياهو ان يشعر وكأنه يعيش في الجنة.

ولأن الحال في فلسطين لا يستمر طويلاً على ما هو، فإننا نعيش هذه الايام واقعاً مغايراً تماماً، يجعل نتنياهو وغيره من قادة الحركة الصهيونية يشعرون وكأنهم اقرب الى الاحساس بلهيب جهنم بدلا من جنان عدن. حيث انه لم يمضي اكثر من شهران على ما بات يعرف بهبة القدس، التي انطلقت كرد فعل عفوي من الشعب الفلسطيني على اعتداءات الاحتلال في المسجد الاقصى، والتي ارتقى خلالها عشرات الفلسطينيين شهداء، وقتل جرائها قرابة عشرين مستوطناً واصيب العشرات بجراح مختلفة، الى جانب اصابة المئات وربما الالاف بحالات مختلفة من الهلع والفرع والامراض النفسية والعصبية، وهنا سنرصد جملة من اهم وابرز اثار وتداعيات هذه الهبة سواء على الشعب الفلسطيني وقضيته او كذلك على الاحتلال الصهيوني وسياساته الاستعمارية:

- بعد سنوات طويلة من الفشل على مسار ما يسمى بالعملية السياسية وتهميش واضح للقضية الفلسطينية ومحاولات الاحتلال استغلال الاوضاع الدولية لصالحه بفرض سياسة الامر الواقع، تأتي هذه الهبة وتعيد كل الاعتبار للقضية الفلسطينية، حتى على اجندة الاحزاب الصهيونية نفسها، والتي باتت الاصوات تعلق داخلها ان تهميش القضية الفلسطينية

والتعامل على اساس وكان الفلسطينيين رضوا
بالواقع، لم يكن سوا اوهام يجب ان لا نركض
ورائها.

- لقد بائت كل محاولات هندسة الوعي الفلسطيني بما
يخدم الاحتلال وسياساته على كافة الصعد وبما يخلق
وعي جمعي فلسطيني قابل بالتعايش والتنسيق معه،
وخلق جيل يركض وراء ملذاته متخلياً عن قضاياها
الوطنية الجوهرية، باءت بالفشل. يطل علينا في هذه
الهبّة جيل جديد من الشباب، في الغالب ليس له
انتماءات حزبية، ليقول ان الراية لم تسقط وان
القضية ما زالت حية لدى الاجيال القادمة، مربكين
بذلك كل حسابات الاحتلال ومن يسير وراءه من
انظمة الخيانة والتطبيع في العالم العربي.

- لقد اسهمت هذه الهبة وبصورة واضحة جداً في انكفاء
الخلافات الصهيونية الداخلية واوصلتها الى حد غير
مسبوق، كما انها عززت من تعميق الازمة السياسية
الداخلية لدى الاحتلال والتي قد تصل قريباً الى حل
الحكومة والذهاب الى مسلسل الانتخابات، الذي غالباً
سيكون طويلاً، ما يعني دخول دولة الكيان في حالة
من الركود السياسي والاداري وعدم المقدرة على
اتخاذ قرارات استراتيجية.

- لقد اسقطت هذه الهبة مشروع اليمين الصهيوني المتمثل بما عرف بالسلام الاقتصادي او كما سماه نفتالي بينت تقليص الصراع، حيث سرعان ما عاد الاحتلال الى طبيعته، وان حاول تجنب ذلك في بداية الهبة، في فرض العقوبات الجماعية على الفلسطينيين من قبيل فرض الاغلاق على الضفة والقدس وسحب تصاريح من المناطق التي يخرج منها مقاومون، الى غير ذلك من الاجراءات العقابية.

- اعادت هبة القدس الاعتبار لوحدة ساحات العمل الفلسطيني بعد سنوات طويلة من الانقسام حيث رأينا التناغم ما بين غزة والقدس والضفة الغربية في محور واحد مع اضافة نوعية، هي ساحة عرب فلسطين المحتلة 48، والتي بدأت سابقاً في معركة سيف القدس، مثبتةً في ذلك ان الشعب الفلسطيني لا يفتأ ان يجدد دماؤه كل حين، عدا عن الابداع في الافكار والرسائل بغية الخلاص من الاحتلال.

- أرست هذه الهبة معادلة جديدة في ساحات المقاومة وهي ان الفلسطيني لم يعد هو الاضعف ولم يعد وحده من يدفع ثمن الاشتباك مع الاحتلال، بل الاحتلال بات يحسب الف حساب قبل التصعيد لانه يشعر بان التكلفة باهظة وعلى كافة الصعد، وبات واضحاً ان

الاحتلال الذي يمتلك قوة تدميرية هائلة يفقد قدرته على الردع بل ان ميزان الردع ينقلب في كثير من الحالات ضده.

- أسهمت هذه الهبة بزيادة فقدان ثقة المستوطن الصهيوني بمؤسسته الامنية بعد انتشار حالة من انعدام الامن قادت الى زيادة كبيرة في الطلب على ترخيص السلاح الشخصي والحصول على دورات في الامن الشخصي، وقد وصل الامر الى اقتراح تشكيل حرس وطني للمساهمة في الدفاع عن المستوطنين، وقد اعترف رئيس اركان الاحتلال بالفشل على مواجهة هذه الموجة من المقاومين الغير معروفين.

- لقد اعادت الهبة الاعتبار وبصقرة فعلية الى خيار مقاومة الاحتلال على حساب خيار اوسلو الموهوم فطوال اكثر من عقدين لم يكن من اتفاق اوسلوا سوى ان قدم للاحتلال الفرصة لمضاعفة استيطانه وتغوله على الحقوق الفلسطينية واوجد سلطة حكم ذاتي مجبرة على الالتزام بواجباتها من الاتفاق في حين ينتهك الاحتلال بنوده كل يوم غير مكترث باي تبعات لذلك، في المقابل تحقق مقاومة الفلسطينيين تقدما على حساب الاحتلال وتجبره على التراجع الى

الوراء بل وتجبر حلفاؤه وخاصة العرب منهم الى التفكير مليا في تاييدهم له ولسياساته.

- لقد فرض الجيل الجديد من الفلسطينيين على الكيان الصهيوني الغاصب نقاشا داخليا يقدم المصالح على حساب الايديولوجيا، فقد علت الاصوات داخل الكيان المطالبة بالتراجع عن اقتحام الاقصى واستفزاز الفلسطينيين وعدم الانجرار وراء المجموعة المتطرفة في اليمين الديني وتقديرنا اذا ما استمرت ضربات المقاومة فان الغلبة حتما للمصالح السياسية والاقتصادية في مجتمع صهيوني رأسمالي يعبد الدولار اضعاف ما يعبد الرب وهذا سيقود للتراجع خطوة للوراء في موضوع اقتحامات الاقصى.

خلاصة

يحتاج الفلسطينيون اليوم اكثر من أي وقت مضى الى امرين هامين وعلى وجه السرعة اولاهما اعادة الوحدة الوطنية الى الجسد الفلسطيني الذي انهكه الانقسام وثانيهما الى قيادة سياسية تتخلى عن وهم المفاوضات واستغلال هذه التضحيات الجسيمة وتحويلها الى انجازات سياسية يعيشها الناس واقعا في حياتهم.